ما المقصود بإطار التحليل الأخلاقي (Ethical Framework)؟

عند مواجهة موضوع أو قضية ذات أبعاد أخلاقية ليس من السهل دائماً التوصل إلى حل سريع لها في اتجاه معين. ويتطلب هذا – خاصة مع تعقيد الحالات الأخلاقية – إلى النظر إلى هذه الحالات ضمن إطار أو بنية هيكلية معينة، أصطلح على تسميتها إطار أو بنية هيكلية (Framework).

والمقصود بالإطار هنا: منظومة من المبادئ والأفكار والمعتقدات والقيم يساعد على التخطيط لشيء ما أو لإتخاذ قرار ما.

وفي مجال التحلل الأخلاقي أو تحليل الحالات ذات الأبعاد الأخلاقية يمكن تعريفه بما يأتي:

"منظومة بنية هيكلية من المبادئ والأفكار والمعتقدات والقيم التي تساعد على النظر في القضايا الأخلاقية للمساعدة في اتخاذ قرار بشأنها".

لماذا نتحتاج إلى هذا الإطار (البنية الهيكلية)؟

لتحليل الحالات والقضايا الأخلاقية واتخاذ قرار بشأنها، يحتاج من يقوم بهذا التحليل إلى عمق في فهم المبادئ والقيم الأخلاقية وقدرة في الربط بينها، كما يحتاج القدرة على معرفة تعارض المبادئ في القضية الأخلاقية الواحدة وكيفية الترجيح بينها.

ولا يتأتى هذا إلا من خلال بنية هيكلية منهجية، إضافة إلى ملكة النظر في القضايا الأخلاقية عموما.

ومن شأن هذه البنية الهيكلية المنهجية أن تسهل عملية التحليل الأخلاقي وتجعله أكثر يسراً.

إن اتباع الخطوات التي يشتمل عليها أي إطار من هذه الأطر يساعد في استجلاء المشكلة أو المعضلة الأخلاقية وتحديد أبعادها ومن ثم التعامل معها، كما يساهم في وضع نسق واضح للتفكير في المشكلة الأخلاقية من خلال النظر في المبادئ والقيم الأخلاقية التي يمكن أن تكون لها علاقة بالمشكلة الأخلاقية.

ونظراً لبعض التعقيدات التي تطرأ عند النظر للمشكلة أو القضية أو المعضلة الأخلاقية، يصبح النظر لها من خلال إطار ذي نسق ومنهج أمراً في غاية الأهمية.

المكونات الرئيسية لإطار التحليل الأخلاقية:

[اكتب هنا]
ولدت كثير من هذه النماذج من الأطر في المدرسة الغربية حيث بين أيدينا مجموعة من النماذج تتفق في بعض أجزائها وتتباين في أخرى. ولأن الأخلاقيات مبنية على الفلسفة فإن هذه النماذج تعكس انتمائها لتلك الفلسفة.

وفي الجملة فإن المكونات الرئيسية لتلك الأطر هي كما يأتي:

1- تحديد المشكلة أو القضية الأخلاقية.
2- جمع المعلومات والحقائق حول القضية الأخلاقية.
3- تحديد الأطراف التي لها علاقة بالقضية الأخلاقية.
4- تحديد المبادئ الأخلاقية ذات العلاقة بالقضية الأخلاقية قيد البحث، وتحديد جوانب التوافق والتعارض أو التضاد بين هذه المبادئ.
5- وضع الخيارات الممكنة لحل المشكلة الأخلاقية، والتفكير في أيها يكون الخيار الأنسب.
6- اتخاذ القرار بشأن القضية الأخلاقية.
7- تقييم التجربة للأستفادة منها في المستقبل.

وتتنوع نماذج هذه الأطر بتنوع النظريات الفلسفية الأخلاقية السائدة في الغرب في الوقت الحاضر، كما يحتوي بعضها على النظر في الدساتير الأخلاقية والقوانين المهنية الطبية ووضعها في الإعتبار عند التحليل الأخلاقي.

ومع أن الفلاسفة الأخلاقيين لا يعترفون بالمرجعية للأخلاقيات، إلا أننا نجد أنهم يؤسسون علم الأخلاقيات على نظريات أخلاقية ويرجعون إليها.

وأفضل هذه النماذج هو ذلك الذي يحاول أن يكون شاملاً ويأخذ بعين الإعتبار أبرز النظريات الأخلاقية، أقول أبرزها لأنها متعددة، ومتضاربة ومتناقضة أحياناً.

ولسنا هنا بصدد ذكر كل هذه النماذج أو شرح مكوناتها وإنما يكفينا أن نركز على الجانب العملي في هذا الموضوع ونكتفي بنموذج أو اثنين.

وبين يدينا دراسة حديثة (2012م) قام مؤلفها بمراجعة مجموعة من هذه النماذج الإطارية للتحليل الأخلاقي واشتملت على دراسة إحدى عشر نموذجا، ليقترح نموذجاً، كما يرى – أكثر عملية وسهولة في التطبيق وأسماه (Core – Value Framework) أي إطار القيم الأساسية إختصاراً

Co	: Codes (I.e. Codes of professional conduct)
R	: Regulations (i.e. Law and other stringent policies
E	: Ethical Principles
Values	: (the personal morall institutional values, behefs of ideologies of the key stakeholders)

صحيح أن هذا النموذج شامل لجوانب كثيرة في مجال التحليل الأخلاقي إلا أن تركيزه على الدساتير والقوانين قد يفقده شيئا من قوته في المجال الاخلاقي الصرف، فالمعروف أن الدساتير والقوانين قد لا تكون بالضرورة متسقة مع المبادئ الأخلاقية بوضوح، ومثل ذلك يمكن أن يقال عن القيم، كالقيم الشخصية أو قيم المؤسسات الصحية..

وعلى كل حال فهي محاولة من المؤلف أن يكون عملياَ، ربما بعيداَ عن تأثير النظريات الأخلاقية.[1]

وهناك دراسة أخرى سابقة لهذه الدراسة، كانت عبارة عن مراجعة لأدبيات الموضوع، خلصت إلى تقسيم هذه النماذج إلى قسمين رئيسين وهما:

1- النماذج المنبية على التبرير Justification based models
2- النماذج المبنية على الواجبات Task-based models

وخلصت هذه الدراسة أيضا إلى وضع نموذج مؤسس على هذه الأقسام محاولة المواءمة والموازنة بين طرق النظر في القضايا الطبية والقضايا الأخلاقية وقسمها إلى معلومات، ومهارات ومواقف إلا أنه أكد أنه وسيلة للتعليم أكثر منه للتحليل الأخلاقي، وهو مقيد في هذا الباب دون شك. [2]

وفي نهاية المطاف هي محاولات لتسهيل عملية التحليل الأخلاقي خاصة بالنسبة للأطباء والعاملين الصحيين.

ومن النماذج المشهورة جداً والمستخدمة على نطاق واسع، نموذج المبادئ الأربعة وهي:

1- الإستقلالية الذاتية (او حرية الإختيار).
2- تحقيق المنفعة (أو المصلحة).
3- عدم الإضرار.
4- العدل (او العدالة).

[1] Manson 4. the developmental of……
[2] Tsai Tc, Harasym PH. A medical ethics reasoning model

[اكتب هنا]
ولا شك أن هذه مبادئ قوية وذات أثر ولا يختلف على أهميتها العقلاء، لكن تطبيقها في التحليل الأخلاقي قد يواجه بعض الأشكالات، ذلك بأنها ليست شاملة لكل الاحتمالات التي ترد على المعضلة الأخلاقية.

القيمة التطبيقية للإطار:

لا شك أن التفكير والتحليل الأخلاقي ضمن إطار محدد افضل كثيرا من أن يكون التحليل مرسلاً بلا إطار، ويمكن للتفكير الأخلاقي من خلال إطار واضح أن يحقق الفوائد الأتية:

- التفكير المنطقي المتسلسل عند النظر في القضية أو المعضلة الأخلاقية.
- تحديد القضية أو المعضلة الأخلاقية بوضوح أكثر.
- شمولية النظرة واعتبار كل الجوانب التي لهاعلاقة في التفكير الأخلاقي في القضية التي يُنظر فيها.
- التركيز على القضية الأخلاقية وعدم الإنزلاق نحو التفكير في جوانب بعيدة أو ليس لها أهمية في النظر إلى القضية المطروحة.
- وضع نسق واضح للنظر في القضية الأخلاقية.

هل نحن بحاجة إلى نموذج مختلف؟

إن أهم ما يجب أن يتميز به أي نموذج للتحليل الأخلاقي أن يكون شاملاً لأبعادالقضية الأخلاقية، كما أن يكون انعكاساً واضحاً للنظرية أو النظريات الأخلاقية التي يبنى عليها التحليل الأخلاقي من حيث الأصل.

ولأن النماذج التي بين أيدينا، وبالرغم من شمولية بعضها، هي انعكاس لنظريات محددة او متباينة، يصبح من الضروري أن نبحث عن نموذج مختلف، يحقق الشمول، كما أنه يكون انعكاساً للنظرية الأخلاقية الإسلامية.

تمهيد:

تختلف أسس الأخلاقيات في الإسلام عن غيرها بأنها مستمدة من قواعد الشريعة الإسلامية ، فهي لاتنفك عنها . وكل طرق الاستدلال في الشريعة الإسلامية هي بالضرورة طرق للأستدلال الأخلاقي ، وكل المباحات في الاسلام هي في حقيقتها سائغة أخلاقيا ، وكل المحرمات أو المكروهات هي في حقيقتها غير أخلاقيه. ومن هنا نعلم أن هذه الأسس ربانية المصدر وتعبدية الغاية ،فتجتمع فيها هاتان الخاصيتان اللتان لايماثلهما فيها أي نظام أخلاقي آخر . فالإيمان يدفع إلى فعل الخير وترك الشر وتحقيق المصلحة ودفع الضرر.

ويمكن طرح هذه الأبعاد في النقاط الأتيه:

[اكتب هنا]

أولاً : تحقيق القصد التبعدي:

إن أي عمل يقوم به الإنسان المسلم في هذه الحياة ، يقصد به وجه الله سبحانه وتعالى يصبح عملاً تعبدياً يتقرب به الى الله تعالى . والعمل الطبي خصوصاً لايخرج عن هذه الدائرة. ومن هنا ترتفع قيمة هذا العمل بحسن القصد فيه ، تحقيقاً بقوله تعالى " وماخلقت الجن والأنسن الإلعبدون " وقوله تعالى " قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين " فجانب الإخلاص لله تعالى جانب مهم في حياة الإنسان المسلم في جميع مايقوم به من أعمال . ويدخل في هذا الباب الرقابة الذاتيه منطلقة من الرقابة الآلهية. .

ثانياً : تحقيق وحفظ مقاصد الشريعة الإسلاميه:

وهي جملة من المقاصد جاءت الشريعه الإسلامية لحفظها وصيانتها إذا كان العمل الطبي محققاً لحفظ هذه المقاصد فلا شك أنه سائغ أخلاقيا وشرعيا . ويدخل فيه مراعاة الاحكام الشرعية كالحلال والحرام ، بمعرفة الحلال وسلوك طريقه ومعرفة الحرام وتجنب سلوك طريقه . وفي المقابل إذا كان العمل الطبي يتجنى على أي من مقاصد الشريعة يصبح عملا غير أخلاقي.

ثالثاً: تحقيق المصلحة:

فقد جاءت الشريعة الإسلامية بحفظ مصالح الناس في دينهم ودنياهم وأخراهم. فإذا كان العمل الطبي يحقق مصالح للناس ، وثبتت هذه المصالح أو غلب الظن على تحقيقها فإنه حينئذ يكون مقبولاً ويتعلق هذا بأمور فيها:

أ. ماالغرض الأساسي من إجراء العمل الطبي ؟
ب. هل الغرض الأساسي الذي سيحققه العمل الطبي مهم ونافع ؟ هل أضرار القيام به أقل من المنافع؟
ت. هل الوسيلة التي ستستخدم لإجراء هذا العمل الطبي توصلنا بطريقة سليمة إلى أغراض تحقق المصالح من خلالها.

رابعاً :دفع الضرر ورفعه:

يشترط في أي عمل طبي على الإنسان أن يرفع عنه ضرراً واقعاً أو يدفع ضرراً متوقعاً ومحتملاً فالضرر يزال شرعاً ويدفع كذلك شرعاً .

فالقاعدة الشرعية تقول " الضرر يزال " والأخرى تقول " الضرر يرفع بقدر لإمكان "

ولايزال الضرر بضرر مثلة أو أشد منه ، فالقاعدة الشرعية " الضرر لايزال بمثله"

ومن هنا ، لابد أن يتحقق هذا الشرط ليكون العمل الطبي مشروعاً ومقبولاً .

خامساً :تقدير المآلات:

في غالب الأحيان ، قد يترتب على العمل الطبي مآلات لم تكن في الحسبان ومن هنا وجب الاهتمام بمالآت العمل الطبي وتقديرها تقديراً صحيحاً قدر الاستطاعة، وهل ستحقق مصالح وتدفع أضراراً أم لا ؟ وهكذا يمكن الحكم بشرعيتها وأخلاقيتها .

سادساً:حفظ الحقوق:

بما أن الإنسان هو موضع العمل الطبي ، يجب حفظ كرامته وحفظ حقوقه ومنها حفظ حق استقلاليته ، وحفظ أسراره وغيرها من الحقوق .

وأي أنتهاك لهذهالحقوق يطعن في شرعية العمل الطبي وأخلاقيتة.

سابعاً :تحقيق واجب الرعاية:

يقع المريض تحت مسؤولية الطبيب أو الممارس الصحي . ولذا وجب عليه رعايته ورعاية مصلحته حال كونه تحت رعايته. فالحديث النبوي الشريف يقول " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" والقاعده القاعدة الشرعية تقول " التصرف على الرعيه منوط بالمصلحة . ويعني هذا أن يبذل الباحث قصارى جهده في تحقيق مصلحة المريض وأن لايفرط في ذلك ، فضلاً عن أن يسمح لنفسه أو لغيره الحاق الضرر بهم .

ثامناً :قواعد أخلاقية يجب مراعاتها:

ويندرج تحت هذا العنوان جملة من القواعد الأخلاقية الأساسية التي يجب التصاف بها والإلتزام بها عند التعامل مع المرضى ومنها:

1. التقوى والعدل والصدق والأمانة والوفاء بالعقود والوعود ، و النزاهه ،وغيرها وهي كثيرة قد أكد ديننا الحنيف على الالتزام بها وتحقيقها

تاسعاً :حسن الخلق في التعامل مع الناس :

[اكتب هنا]

ويشمل ذلك جملة من الأخلاق الحسنة التي يجب الإلتزام بها عند التعامل مع الناس مثل النصح لهم والبشاشه في وجوههم ، والرحمة بهم ، والرفق بهم وجب الخير لهم وأن يعاملهم بمثل ما يحب أن يعاملوه ، وغيرها من مكارم أخلاق التعامل مع الناس .

عاشراً : مراعاة القواعد الفقهيه:

هناك جملة من القواعد الفقهيه التي استنبطها الفقهاء من نصوص الشريعة الإسلامية يمكن أن تكون لها تطبيقات في مجال الطب ، ومن هنا يجب مراعتها والنظر فيها ومن أمثلة هذه القواعد مايأتي :

- القواعد الفقهية الكبرى ومايتفرع منها،وقد سبق الحديث عنها.
- الأصل في الأشياء الإباحة
- لاعبرة بالتوهم البين خطؤه
- المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً
- يغتفر في الوسائل مالايغتفر في المقاصد
- إذا أجتمع الحلال والحرام غلب الحرام
- الوسائل لها حكم المقاصد

ومن هنا يتضح أننا بحاجة إلى نموذج مختلف، يمكننا من التحليل الأخلاقي على أسس اسلامية، إذا نحن أخذنا بعين الإعتبار كل الأبعاد التي ذكرناها عند حديثنا عن أبعاد النظرية الأخلاقية الإسلامية آنفاً.

وهناك نموذج بين ايدينا وضع ملامحه الدكتور خالد الجابر[3] يمكن أن يكون بداية لطرح نماذج أخرى أو نموذج أكثر شمولاً ويتلخص هذا النموذج في خمسة أسئلة وهي:

1- ما السؤال الاخلاقي أو الأسئلة الأخلاقية في المسألة؟ وتحديد محل الإشكال الحقيقي
2- ماالمعلومات/المعطيات/ الاعتبارات/المرجحات التي ينبغي أخذها في الحسبان في المسألة؟
   - أطراف القضية

[3] محاضرات الأخلافيات:لم ينشر

[اكتب هنا]

- المعلومات الطبية عن الحالة/التصوير الطبي الدقيق للمسألة/ التشخيص،العلاج المتوفر،توقعات الشفاء(تطور الحالة)
- العواقب والمآلات/ الأثر المترتب

2-ما المبادئ الأخلاقية والشرعية والقانونية التي تجب مراعاتها؟

- حقوق أطراف المسألة وواجباتهم ورغباتهم أو وصاياهم.
- المصالح والمفاسد
- الحلال والحرام في المسألة/ النصوص/ الإعتبارات الشرعية.
- ما تجب مراعاته من نظام الأخلاقيات/ القانون/ الأحكام القضائية.

3-ما الأقوال المحتملة في المسألة؟ ودليل كل قول ونقاشه، والرأي المختار في المسألة، وسبب الترجيح.

- فتاوى العلماء في المسألة أو في ما يشبهها من المسائل.
- أقوال علماء الأخلاق في المسألة/ ما الملحظ الأخلاقي في المسألة؟

4-ما الرأي المختار في المسألة، وسبب الترجيح؟ وما التصرف الصحيح في هذه الحالة تحديداً؟

وفي رأينا أن هذا النموذج يحتاج إلى شيء من التطوير ليصبح أكثر شمولاً، وأقل تعقيداً وهي مسألة ليست سهلة، لكننا سنحاول ذلك والله الموفق.

وهنا نود أن نفرق ،باديء ذي بدء، بين نوعين من القضايا ذاتالأبعاد الأخلاقية وهما:

1- القضايا البسيطة، وغير المعقدة التي يمكن أن يُطبق عليها مبدأ و أو مبدأين اخلاقيين، دون أن يكون هناك تضارب أو تصادم، أو أنها محسومة شرعاً بنص شرعي بالتحليل أو التحريم. وهذه لا إشكال فيها. ومن أمثلتها: القتل الرحيم، حيث لا يجوز التعدي على حياة الإنسان إلا بموجب شرعي، حتى لو رضى هو بذلك.
وقد يتحول هذا النوع من القضايا إلى قضايا معقدة نوعاً ماعندما لا يكون الإجابة على السؤال الأخلاقي مباشرة وسهلة، مثلاً عند تصادم المبادئ الأخلاقية.
2- القضايا المعقدة، والتي تتعلق غالباً بالنوازل الطبية التي لم يُعرف لها حكم من قبل، أو حتى القضايا التي يُعرف فيها حكم سابق، لكن طبيعة الموقف تتطلب مراعاة مبادئ شرعية وأخلاقية كثيرة، ولا يمكن التحليل الأخلاقي من خلال مبدا واحد أو مبدأين.

[اكتب هنا]

ومعظم القضايا التي يُثار حولها الخلاف وتتباين حولها وجهات النظر هي من هذا النوع ومن هنا بنيت كثير من أطر التحليل الأخلاقي على هذا الأساس.

ويمكن إعادة تأطير النموذج الإسلامي كما يأتي:

أولا: جمع المعلومات والحقائق ويشمل ذلك:

- التصور او التصوير الطبي الدقيق للمسألة
- الآثار والمآلات المترتبة عليها عند التدخل أو عدم التدخل – الأطرافق المتأثرة بالقضية -.

ثانياً: تحديد السؤال الأخلاقي أو القضية الأخلاقية بوضوح.

ثالثاً: المبادئ الشرعية والأخلاقية ذات العلاقة بالقضية المطروحة ومدى تطبيقها ويشمل ذلك:

1) النصوص الشرعية.
2) مقاصد الشريعة الإسلامية.
3) المصالح والمفاسد.
4) القواعد الفقهية
5) القواعد الأخلاقية.
6) الحقوق والواجبات.

رابعاً: الخيارات المتاحة، مع مراعاة: الأنظمة والقوانين والفتاوى والأحكام القضائية.

خامساً: اتخاذ القرار المناسب حسب الراجح.

سادسا: تقييم التجربة للإستفادة منها مستقبلاً.